Print ISSN: 2008 - 7217
Online ISSN: 2383 - 2681
Journal of Arabic Language & Literature
www.jall.um.ac.ir

Journal of Arabic Language & Literature, Vol. 16, No.1 Serial Number. 36

Reading the Image of the French Other Between the Negative and Positive Patterns in the Algerian Novel (Muammar Hajij's Novels are an Example)

Doi: 10.22067/jallv16.i1. 2402-1385

Dana Talebpour[1]
PhD Graduated in Arabic Language and Literature, University of Tehran, Tehran, Iran.

Salah Najmuddin Amin Majid
Lecturer Department of Arabic Language and Literature, Kirkuk University, Kirkuk, Iraq.

Received: 6 March 2024 ▌Received in revised form: 9 April 2024 ▌Accepted: 24 June 2024

Abstract

The dualism of the ego and the other is one of the most important topics of comparative literature, as this dialectical dualism refers mostly to class and civilizational conflict. To define the concept of the ego, there must be an ego/central ego through which we measure that other and recognize him. The other means another person or a different group. The other is the being that is different from the ego, and it is a relative and moving concept, because the other is only determined by comparison to a central point, which is the ego. The other is a reflection of the ego, and the Algerian novel is filled with the image of the French other, who remained stuck in the minds of the Algerians and was embodied in their writings despite independence. Therefore, this attempt seeks, through the descriptive-analytical approach, to study the most important things that Muammar Hojeij adopted in his depiction of the French other in his novels and to highlight the patterns of this other between negativity and positivity through his depiction of French characters. The results indicate that Hajej relied in his portrayal of the French other on several conflicts: including the civilizational conflict existing between the West and the East, the conflict existing between the Algerian and French identity, which colonialism is trying to erase, and the existing conflict between French writers who are passionate about France's interests and the rights of their people, who are enthusiastic about the liberation of Algeria, and who oppose the crimes of French colonialism. The Frenchman and the images of the French other in the novels are of two types: negative and positive. The image of the French officer has a superior look and is characterized by violence and cruelty, and an image characterized by pity for the prisoners and sympathy for them. The same goes for the image of the professor, which is of two types: negative. It tries to destroy everything related to the Algerian Islamic identity, Algerian culture, and positivity, as it supports all movements at the level of defending Algerian freedom and independence, as well as with regard to the image of the writer, as Camus looks down on Algeria. Algeria's civilization, according to Camus, is what the Romans left behind and backwardness is all that is attached. With the Arabs and their faces, while Sartre, in the same novel, defends the Algerian cause with all his might, exposes the crimes of French colonialism, and denounces the silence on them.

Keywords: Comparative literature, the Algerian novel, the French other, the ego, Muammar Hajij.

[1] - Corresponding Author. Email: d.talebpour@ut.ac.ir

اللّغة العربية وآدابها (الفصلية العلمية المحكمة)
www.jall.um.ac.ir
الترقيم الدولي الموحد للطباعة: 7217 – 2008
الترقيم الدولي الموحد الإلكتروني: 2681 – 2383

اللّغة العربية وآدابها، السنة السادسة عشرة، العدد ١ (الرقم المسلسل ٣٦)، ربيع ١٤٤٥، صص:١٠٤-٩٠

قراءة صورة الآخر الفرنسي بين النمطين السلبي والإيجابي في الرواية الجزائرية (روايات معمر حجيج أنموذجا)

(المقالة المحكمة)

دانا طالب‌بور (حاصل على الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها من جامعة طهران، طهران، إيران، الكاتب المسؤول)[1]
صلاح نجم الدين أمين مجيد (أستاذ محاضر في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة كركوك، كركوك، العراق)

Doi: 10.22067/jallv16.i1.2402-1385

الملخّص

تعد ثنائية الأنا والآخر من أهم مباحث الأدب المقارن، إذ تحيل هذه الثنائية الجدلية في الأغلب على الصراع الطبقي والحضاري، لتحديد مفهوم الأنا لا بد من وجود الأنا/ الذات المركزية نقيس من خلالها ذلك الآخر ونتعرف عليه، فالآخر يعني شخصا آخر أو جماعة مغايرة، ويكون الآخر هو الكائن المختلف عن الذات وهو مفهوم نسبي ومتحرك، ذلك أن الآخر لا يتحدد إلا بالقياس إلى نقطة مركزية هي الذات، فالآخر هو انعكاس للأنا والرواية الجزائرية زخرت بصورة الآخر الفرنسي الذي بقي عالقا في أذهان الجزائريين، وهو ما تجسد في كتاباتهم بالرغم من الاستقلال، لذلك تسعى هذه المحاولة عبر المنهج الوصفي- التحليلي إلى دراسة أهم ما اعتمد معمر حجيج في تصويره للآخر الفرنسي في رواياته الأربع (الليالي حبلى بالأقمار، معزوفات العبور، ذاكرة منفى الجنون، مهاجر ينتظر الأنصار) وإبراز أنماط هذا الآخر بين السلبي والإيجابي من خلال تصويره للشخصيات الفرنسية والتعرف على خفايا ومستورات ذلك الآخر. تشير النتائج إلى أن حجيج اعتمد في تصويره للآخر الفرنسي على عدة صراعات: منها الصراع الحضاري القائم بين الغرب والشرق، والصراع القائم بين الهوية الجزائرية والفرنسية التي يحاول الاستعمار بمسحها، والصراع القائم بين الأدباء الفرنسيين المتحمسين لمصالح فرنسا، وصور الآخر الفرنسي في الروايات ذات نمطين: سلبي وإيجابي، فصورة الضابط الفرنسي ذات نظرة استعلائية وصورة تتميز بالشفقة على المساجين والاستعطاف عليهم، وكذلك بالنسبة إلى صورة الأستاذ، حيث تحاول تدمير كل ما يتعلق بالهوية الجزائرية الإسلامية والثقافة الجزائرية وإيجابية، حيث تدعم كل الحركات على مستوى الدفاع عن الحرية والاستقلال الجزائري وكذلك بالنسبة إلى صورة الأديب، حيث ينظر كامو نظرة دونية إلى الجزائر، بينما سارتر في نفس الرواية، يدافع بكل ما يملك من قوة عن القضية الجزائرية ويفضح جرائم الاستعمار الفرنسي ويندد الصمت عليها.

الكلمات الدليلية: الأدب المقارن، الرواية الجزائرية، الآخر الفرنسي، الأنا، معمر حجيج.

تاريخ الوصول: ١٤٠٢/١٢/١٦ تاريخ المراجعة: ١٤٠٣/١/٢١ تاريخ القبول:١٤٠٣/٤/٤

[1]. الكاتب المسؤول: d.talebpour@ut.ac.ir

١. المقدمة

اهتم الباحثون في مجال الدراسات الأدبية المقارنة بتقصي صورة الآخر من خلال الغوص في خبايا النصوص الأدبية بغية الوصول إلى الصورة التي يرسمها أدب شعب ما حول شعب آخر وثقافته وعاداته وتقاليده، فالآخر في نظر الشعوب هو من يختلف في لغته أو عرقه أو انتمائه الديني والجغرافي، مع العلم بأن صورة الآخر تضمر في ثناياها صورة الأنا وثقافته، لذلك فقراءة ثنائية الأنا والآخر لا يمكن أن تنعزل عن قراءة الأنساق الثقافية التي اختفت في اللاوعي الفردي والجماعي.

وتعد ثنائية الأنا والآخر من أهم مباحث الأدب المقارن، إذ تحيل هذه الثنائية الجدلية في الأغلب على الصراع الطبقي والحضاري والثقافي، وهذا الصراع ألهب خيال المبدعين وحرّك أقلامهم، ما جعل الخطابات الأدبية أرضا خصبة تغذيه، فكانت الرواية في صدارة الأجناس الأدبية التي تنبت هذه العلاقة بين الأنا والآخر فلا نجد نصا روائيا إلا وفيه بعض من شظايا هذه الثنائية الجدلية أو ثنائياتٍ، ارتبطت بها من حيث المفهوم كثنائية الشرق والغرب، المركز والهامش، الفوقية والدونية، الذكورة والأنوثة، فمقدرة الرواية على احتواء المجتمع والتعبير عنه استطاعت الكشف عن الصراع والصدام القائم بين الأنا والآخر.

لذلك تسعى هذه الدراسة عبر المنهج الوصفي- التحليلي إلى إبراز أنماط صورة الآخر الفرنسي بين السلبي والإيجابي في أربع روايات معمر حجيج (الليالي حبلى بالأقمار، معزوفات العبور، ذاكرة منفى الجنون، مهاجر ينتظر الأنصار) بما تحمله من مرجعيات ثقافية وكولونيالية عبر الإجابة عن السؤالين التاليين:

١. على ماذا اعتمد الروائي معمر حجيج في تصويره للآخر الفرنسي في الروايات الأربعة الآنف ذكرها؟

٢. كيف الصورة التي رسمها الروائي الجزائري عن الآخر الفرنسي؟

١-١. فرضية البحث

١. من خلال نظرة شاملة إلى روايات معمر حجيج الأربع يمكن أن نشاهد أنها تتمحور حول عدة صراعات بما يشمل الصراع الحضاري المضاد بين الغرب والشرق، والصراع القائم بين الهوية الجزائرية والفرنسية التي يحاول الاستعمار بمسحها، والصراع القائم بين الأدباء الفرنسيين المتحمسين لمصالح فرنسا.

٢. من خلال نظرة فاحصة في مضامين روايات معمر حجيج الأربع يشاهد أن صورة الآخر الفرنسي ذات نمطين: سلبي وإيجابي.

١-٢. خلفية البحث

أما بالنسبة إلى موضوع البحث فقد جرى حتى الآن عدة بحوث فيما يلي يشار إلى بعض منها:

- شريف، بموسى عبد القادر (٢٠١٠). «صورة الآخر الفرنسي في الرواية الجزائرية "ما لا تذروه الرياح" أنموذجا». تتناول هذه الدّراسة الجانب النّفسي من الصّراع الحضاري بين الشرق والغرب في الرّواية العربية الجزائرية.

-مير قادري، أعظم السادات (٢٠١٢). «الأنا والآخر في رواية "سهرة تنكرية للموتى" لغادة السمان». في هذه الدراسة قامت الباحثة بدراسة أهم مظاهر العلاقة بين الأنا والآخر بما يتمثل في مواجهة الشرق للغرب أو العلاقة بينهما.

– شفيري، فتيحة (٢٠١٣). «الأنا والآخر في الرواية الجزائرية». في هذه الدراسة قامت الباحثة بدراسة صورة الأنا والآخر في رواية "القلاع المتآكلية" لمحمد ساري في مختلف المستويات والصور.

– أميرة، كتال ومحمد، زرمان (٢٠٢١). «شعرية السرد في رواية ذاكرة منفى الجنون لمعمر حجيج». يحاول البحث ليسلط الضوء على أبرز العناصر المكوّنة للسرد ورصد الآليات التي جسدت دلالات متنوعة وجعلت الرواية ترقى لمصاف الشعرية، فجعلت القارئ يستقطبها كمشارك ضمني لإنتاج محكي يتشابك ضمن نسيج روائي متكامل ومتماسك.

عيسى، قدور والسعدي، إسماعيل (٢٠٢١). «تمثلات الأنساق الثقافية في الرواية الجزائرية: "مهاجر ينتظر الأنصار" لمعمر حجيج أنموذجا». هذا المقال يحاول أن يسلط الضوء على الأنساق الثقافية في الرواية الجزائرية المعاصرة من أجل فهم كيفية اشتغال الأنساق الثقافية داخل المنجز الإبداعي بالاعتماد على رواية "مهاجر ينتظر الأنصار" لمعمر حجيج وبالاستفادة من أطروحات النقد الثقافي.

–مرج، نادية (٢٠٢١). «الأنثروبولوجيا الثقافية في الرواية الجزائرية، "الليالي حبلى بالأقمار" و"معزوفات العبور" لمعمر حجيج أنموذجا. يهدف هذا البحث إلى كشف ملامح الأنثروبولوجيا الثقافية في الرواية الجزائرية الممثلة في أنموذج الروائي معمر حجيج كالأساطير والدين والطقوس الشعبية، حيث أبدعت الروايتان شكلا روائيا تمازج فيه الفني الجمالي بالمعرفي الإبستيمولوجي وتكونان تعبيرا عن ثقافة المجتمع الجزائري وتراثه الشعبي.

– شهيناز، بوصبع ونجوى، منصوري (٢٠٢٢). «المضمر الثقافي في رواية "مهاجر ينتظر الأنصار" لمعمر حجيج (الحدود والتمثلات)». تبحث هذه الدراسة في النسق الثقافي المضمر من حيث حدوده الاصطلاحية والمفهومية من منظور النقد الثقافي، ومن حيث تمثّلاته النصية في رواية "مهاجر ينتظر الأنصار" للروائي الجزائري "معمر حجيج" والتي تتمتع بقدر من الخصوصية الجمالية والفكرية تضمر دلالات ثقافية تختلف عما تصرح به في الظاهر، وتشكل إحدى صور مساءلة الذات الكاتبة لواقع اجتماعي، أو لثقافة سائدة.

– ملاوي، محفوظ وعلي، كرباع (٢٠٢٢). «جينيالوجيا الأنساق الثقافية في الرواية الجزائرية المعاصرة وتمثلاتها على مستوى المضامين: رواية "الليالي حبلى بالأقمار" أنموذجا». تحاول هذه الدراسة قراءة بعض الأنساق الثقافية قراءة مقارنة من أجل بحث فاعلية النسق في تكوين المنظومة الخطابية في الرواية الجزائرية المعاصرة، والكشف عن المضمرات النسقية، وجدل المراوحة بين المنطوق الجمالي والكامن الثقافي من خلال فعل الحفر.

استنادا إلى ما سبق ذكره، فلم يتم الحصول على أي عنوان يتعلق بموضوع البحث الحالي، فمن ثم يكون موضوعا جديدا غير مدروس حتى الآن.

٢. الإطار النظري للبحث: مفهوم الأنا والآخر

ما من شك في أن الإحساس بالهوية أو الوعي بالذات وبالتالي الوعي بصورة الإنسان عن نفسه أو تصوره لنفسه وعلاقة ذلك بمفهوم الغيرية أي بمعنى الوعي بوجود الآخر المغاير ومعرفة السمات المميزة والحدود الفاصلة بين الأنا والآخر من أقدم وأرسخ وأوضح حقائق الوجود البشري. وكثيرا ما عولج هذا الموضوع تحت مصطلحات كثيرة ومفاهيم تختزل هذه العلاقة الجدلية منها:

نحن والآخر، الذات والآخر، الأنا والآخر. ولكن يبقى مفهوم هذه الثنائية معقدا ويختلف باختلاف المفكرين وتوجهاتهم، فالأنا «لا معنى له سوى أنه المقابل للآخر (Autre) تقابل تعارض وتضاد أو أنه المطابق لنفسه المعبر عنه

(Identite) وهو ما نترجمه اليوم بلفظ الهوية أو العينية أي كون الشيء هو عين نفسه» (الجابري، ٢٠٠٩: ٢١). فالأنا هو النفس البشرية بما يملكه ويحمله من مميزات ومظاهر ثقافية نفسية إيديولوجية وما يحويه من أفكار وطموحات وصراعات.

فعلينا أن نشير إلى أن أول من كانت له الصدارة في الحديث عن الأنا هو الفيلسوف الألماني سيغموند فرويد في «اكتشاف تلك الحقيقة الهامة وهي أن جزءا كبيرا من حياتنا العقلية لا شعوري وأن لهذا الجزء اللاشعوري من حياتنا العقلية تأثيرا كبيرا على سلوكنا ومشاعرنا سواء في حياتنا السوية أو فيما تتعرض له من اضطرابات وأمراض نفسية» (فرويد، د.ت: ١٢).

أما في المجال الأدبي، فإن الأنا يتقاطع مع الذات، الهوية والشخصية ويشكل مترادفات بالنسبة له في الاصطلاح، والأنا هو الذات وما يحمله من مظاهر وخصائص ثقافية أو نفسية أو إيديولوجية وما يشتمل عليه من أفكار وآمال وطموحات وصراعات وتوترات...» (الذويخ، ٢٠٠٩: ٧). أي إنه مجموعة السمات التي تميز الذات وتعرف بها من خلال مظاهر داخلية (التفكير، الوعي، القيم، والمكتسبات...) وأخرى خارجية (الشكل والمظهر واللباس وطريقة الأكل...).

«عرف سارتر الآخر بأنه كائن آخر مماثل للأنا، لكنه مستقل في وجوده ومختلف عن الأنا، والغير هو الأنا الذي ليس أنا، ويعتبره عاملا فاعلا في تكوين الذات، إذ يرى سارتر أن وعي الذات الوجودي يتأسس تحت تحديق الآخر، لكن الآخر ليس آخر خيرا، بل ينطوي على عداء يدمر إنسانيتنا، وتأتي أهمية الآخر في الفلسفة السارترية الوجودية وعلم النفس اللاكاني من جوهريته الأساسية في توطين الذات وتحديد الهوية وكذلك من إسهامه في تأسيس وتوجيه المنطلق الذاتي الشخصي القومي والثقافي» (الرويلي، ٢٠٠٢: ٢٣-٢٤).

وعليه يكون الآخر هو «الكائن المختلف عن الذات وهو مفهوم نسبي ومتحرك، ذلك أن الآخر لا يتحدد إلا بالقياس إلى نقطة مركزية هي الذات، وهذه النقطة المركزية ليست ثابتة بصورة مطلقة، فقد يتحدد الآخر بالقياس إلى فرد أو جماعة معينة وقد تكون داخلية كالنساء والرجال» (كاظم، ٢٠٠٤: ٢٠). إذا لتحديد مفهوم الأنا لا بد من وجود الأنا/ الذات المركزية نقيس من خلالها ذلك الآخر ونتعرف عليه، فالآخر يعني شخصا آخر أو جماعة مغايرة. قد ينتمي لنفس المجتمع الذي أنتمي إليه ويشترك معي في الثقافة والدين والوطن (نساء/ رجال) أو يختلف عني تماما في اللغة والعقيدة والوطن ويحمل سمات ثقافية وحضارية متمايزة.

«يعتبر الآخر موضوعا قيد النقاش من لدن المهتمين بالحقل الفلسفي والحقول المفاهيمية الأخرى الراغبة في وضع الأطر الصحيحة للمصطلحات. فنجد الآخر تأتي بمعنى صفة كل ما هو غير أنا، وفكرة الآخر بمعنى غير الأنا، مقولة إبستمولوجية ملخصها الإقرار بوجود خارج الذات العارفة أي كينونات موضوعية» (بوحلايس، ٢٠٠٨: ٨).

إذا لا وجود لآخر دون وجود الأنا، فلا بد من توفر شروط الاختلاف والتمايز حتى يمكن التفريق بينهما فكلاهما يحدد غيره ويحيل إليه، فبمجرد قول عبارة صورة الآخر يتبادر إلى الأذهان مفهوم الذات/ الأنا. وعموما الأنا نعني به العرب، الشرق، بلدان العالم الثالث، التخلف، الضعف، الفقر، الخوف، التبعية، الهامش، أما الآخر فهو الغربي الشمال، التفوق، التحضر، التطورـ القوة، المركز، الهيمنة، وبذلك نجد الكثير من العلاقات داخل النص الأدبي مفيدة من أجل دراسة الآخر. مثلا: دراسة العلاقات الذكرية والأنثوية ضمن الانتساب إلى ثقافات متنوعة (الرجل العربي يقيم علاقة مع المرأة الغربية أكثر من المرأة العربية مع الرجل الغربي)، وهناك الوصف المخالف الذي يساعد على تقديم صورة الآخر من خلال ثنائيات متناقضة تدمج الطبيعة والثقافة، مثلا: متوحش مقابل متحضر، وبربري مقابل مثقف، وإنسان مقابل حيوان، ورجل مقابل امرأة، وكائن متفوق مقابل كائن ضعيف (حمود، ٢٠٠٠: ٢٥٦).

«فإن ما يتشكل لدينا من صورة لذواتنا أو الآخرين لا تكون دائما -في جميع الحالات- محددة ونقية، فإذا كانت صورتنا عن الآخر قواما مكونا للأنا/ النحن، فإن صورة النحن هي النقطة التي عندها نستدرج الصورة التي لنا الآخر أو الآخرين والصورة التي للآخرين عنا نحن» (الكنز، ١٩٩٣: ٦٥١)، وربما تتشكل صورة الآخر من عناصر انتقائية، هي ما نريد أن نثبتها في أذهاننا عن هذا الآخر، في حين تغيب عنها عناصر أخرى لا نراها أو لا نريد الاعتراف بها وأحيانا غرائبية عن الإطارين: الزماني والمكاني معا لوصف أوضاع الآخر وطبائعه (البرزي، ٢٠٠٠: ١٠١).

ورصدت الرواية العربية جدل العلاقة بين الأنا والآخر وطرحتها بوجهات نظر مختلفة، «تختلف باختلاف وجهة نظر الروائي، قد يبرزها بصورة معقدة وشائكة وقد يظهرها بصورة واضحة خاصة، إذا اقترنت بالآخر، وهو العدو بحد ذاته، لتصبح الأنا في موقع صدامي وصراعي على الدوام معه» (عبيد، ٢٠١٢: ٣٦). حيث يصوغ الروائي العلاقة بينهما عن طريق المقابلة صورة الأنا/ الذات أو النحن العربي وصورة الآخر/ الغربي المتحضر، لتصبح بذلك هذه الثنائية الجدلية الأنا والآخر قيمة مركزية في الخطاب الروائي، يظهر صراعها جليا في بعض البنى النصية وينصره في بنى أخرى حتى يوهم المتلقي بالتواؤم والانسجام، لكنه يخفي الصراع الحضاري بين الشرق والغرب.

وتعد فكرة التمايز والتفاضل فكرة متأصلة في التاريخ البشري، وكانت سبب أول جريمة بين بني البشر، قال تعالى: (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ، قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) (المائدة: ٢٧). فالصراع من أجل المكان والتميز صفة بشرية لا يمكن العدول عنه بسهولة وتبلورت هذه الفكرة حديثا في الثقافة الكولونيالية التي تنبت النظرة الفوقية المتعالية وأسست لثنائية المركز/ الهامش، الأنا/ الآخر.

وقد شكلت ثنائية الأنا/ الآخر البؤرة المركزية التي اتكأ عليها المؤلف (معمر حجيج) في بناء نصوصه الروائية (مهاجر ينتظر الأنصار، الليالي حبلى بالأقمار، ذاكرة منفى الجنون، معزوفات العبور)، فهي روايات تزخر بالصراعات بين الشرق الممثل في الجزائر والغرب الممثل في فرنسا، وعليه سنحدد مجال هذه الدراسة في الروايات بتحديد رؤية الجزائري للآخر الفرنسي باعتباره مقابلا للأنا مختلفا عنها ثقافيا واجتماعيا وإيديولوجيا- وكيف تشكلت صورة فرنسا في الرواية من خلال الحوار الذي دار بين الشخصيات في الروايات، لينقل لنا صورة المتخيل الجزائري عن فرنسا.

٣. الإطار التطبيقي للبحث

فيما يلي تتم دراسة أهم مظاهر صورة الآخر الفرنسي في روايات معمر حجيج الأربع (الليالي حبلى بالأقمار، معزوفات العبور، ذاكرة منفى الجنون، مهاجر ينتظر الأنصار) مرتكزة على صورة الضابط والأستاذ والأديب.

٣-١. صورة الضابط

«الشخصية كائن له سمات إنسانية ومنخرط في أفعال إنسانية وملتزم بأحداث بشرية، وممثّل متسم بصفات بشرية. الشخصية محور الصفات والإيدئولوجيات والأفعال والتصرفات ولأعمالها وأدوارها مكانة في النص» (فتحي دهكردي، ١٤٤٣: ٥٥).

تعد شخصية الضابط الفرنسي من أهم الشخصيات التي ميزت روايتي (الليالي حبلى بالأقمار) و(معزوفات العبور)، لأنهما روايتان تعالجان موضوع الثورة التحريرية الكبرى والصراع العسكري بين فرنسا والجزائر، وشخصية الضابط تمثل السلطة الفرنسية بكل ما تحمله من كراهية وحقد ضد الجزائريين، ويعكس الضابط الهمجية الاستعمارية.

وتتجلى النظرة الاستعلائية والإحساس بالتفوق في رواية (الليالي حبلى بالأقمار) منطلقا من اعتزازه بالحضارة الأوروبية: «ألا تتذكر ما قاله الضابط الفرنسي لجدي؟- بلى. بلى. أتذكر ذلك جيدا. كان يقصد تثبيط عزائم أبي العظيم رحمه الله قال له يومذاك: أنتم لا تخشون من الموت، لأنكم لم تستطيعوا صنع حياة الرفاهية التي ننعم بها. أنتم مهرة في صنع تماثيل للموت بوجوه مكفهرة مقززة ميتة، لكنكم لا تحسنون صنع تمثال واحد للحياة. أجابه جدي بالقول الفصل: أنتم صورة ممسوخة مزورة من مشاريع بشر تحسنون صنع رفاهية الحياة المشوهة بوجوه آدمية براقة خادعة وأنياب ذئبية ومخالب كواسر والسباع ونفوس شريرة وقلوب صدرت إليكم من وحوش منقرضة ليس فيها أي: دماء آدمية، تتلذذون بتعذيب وتقتيل غيركم، وشرب دمائهم بشراهة الذئاب المعسورة. أما نحن فلا نخشى من العباد حتى لو أنهم كانوا وحوشا دمويين مدججين بآلات التنكيل والتقتيل مثلكم، ولكننا نخشى رب العباد والحياة عندنا مقدسة لكل الخلق، والموت حق على كل نفس، ونحن لا نصنع تماثيل نعبدها، بل نعبد الله الواحد الأحد، والقلوب لا تكون ميتة حتى تفرغ من الإيمان، تكفر بخالق ربها المنان» (حجيج، ٢٠١٨: ٣٢٢).

فهذا الصراع بين الجد والضابط نموذج مصغر عن الصراع الحضاري بين الغرب المادي والشرق الروحاني، ففي حين يفتخر الغرب بقدرته على صناعة الرفاهية، يسطع نور الإيمان من الشرق، فالحضارة الأوروبية ركزت على الصناعة وشيأت العلاقات الإنسانية وتحولت إلى آلات مستعدة للتدمير والقتل.

والاستعمار الفرنسي لم يستطع إطفاء شعلة الوطنية وروحها في نفوس الجزائريين مهما ارتكبوا من أعمال تنأى عن الأخلاق والقيم، ولا يجود متنفسا لغضبه إلا بالعودة لحضارة الأنوار ليستمدوا منها القوة، في حين تكون الشتائم والازدراء للآخر الجزائري الذي فرض تفوقه في حرب السلام، فلن يسمحوا له بالتفوق في الحرب الكلامية: «بقي ذلك الهروب غصة في حلق الضابط الفرنسي، ولم يستطع بلعه، وكان يصبح كالمعتوه: أنا ممتلئ بخطط حربية على بدء أشهر الجنرالات، وتخرجت من المدارس الحربية، وأخسر الرهان أمام هذا البدوي المتخلف الجلف. هذه من سخريات القدر. كتيبتي وقعت بغبائي وغروري في فخ كمين محكم وأبيد معظمها. أسأل نفسي بمرارة من يكون هؤلاء؟! بالتأكيد هم وحوش من أدغال إفريقيا، بل أشباح تظهر فجأة وتختفي. سنسجل كل من ينتمي إليهم في القائمة السوداء. هؤلاء خارجون على القانون، وليسوا ببشر، وبالقانون نصادر كل أراضيهم ومواشيهم ورقابهم، ويصبحون لا حيلة لهم على غير العمل عند أسيادهم الكولون ليعيدوا ترويضهم، إن لم ينفع هذا العقار السحري لتحويلهم إلى مشاريع بشر لا مفر من تشريدهم ليعيشوا كالكلاب المسعورة. لا بد من الرمي بهم في البحار لإفراغهم من الدماء التي تغلي في عروقهم أو رمي أشباحهم في الصحاري لتخنق أنفاسهم ويمسخون سلاحف لا نخرج رؤوسها أبدا» (المصدر نفسه: ١١٠).

فالثوار أثبتوا أن الانتصار يتحقق من الإرادة والإيمان، وساحة المعركة لا تعترف بالشهادات والتحصيل العلمي، فنجد الثوار الذين لم يلجوا المدارس يتفوقون بعزيمة وحبهم للوطن الذي يجري في عروقهم، في المقابل نجد الضابط الفرنسي بكل معارفه وعتاده الحربي يبوء بفشل ساحقٍ، يشوه مسيرته كقائد في جيش يتغنى بحضارته وقوته.

وأما رواية (معزوفات العبور) فتصور لنا شخصية الضابط الذي يتميز بالعنف والقسوة، فهو شخصية سادية تتلذذ بممارسة فعل التعذيب على المساجين: «سأتركه يموت كالقنفذ ببطء، وأنا سأتلذذ كلما مات منه جزء. سأجعله يموت بالتقسيط، والموت بالجملة نوع من السخاء يهدي مجانا لهذا الصعلوك، خذوه وارموه في المطمور رقم سبعة ليعيش مع الفئران والصراصير والعناكب والقمل والبرغوث ولا تتركوا معه الأفاعي، فهي تهدي له نيابة عنا الموت بالجملة، سأحرمه منها ما دمت

هنا. لا تبخلوا بالبول عليه» (حجيج، ٢٠١٦أ: ١٣٧). فهم يتلذذون بالتعذيب لدرجة يرفضون فيها أن يقتل السجين مرة واحدة، بل يسعون لقتله مرات عديدة وبقتل أجزاء من روحه مرة بعد مرة ليصبح مسخا وجسدا بلا روح.

وتبلغ النتعة بالتعذيب مداها عندما يتخلى الضباط الفرنسيون عما بقي من إنسانيتهم باستعمالهم لكل الطرق التي لا تخطر على البال، فهم يتحولون لحيوانات هائجة عندما يتعلق الأمر بالثوار المساجين: «سأقطع لك ما يفقدك رجولتك، ويستأصلك، ولن تنجب بعدها مخلوقات هابطة، ووقحة مثلك. وأمر أعوانه بالتنفيذ، فسمع المعتقلون صراخا غير معهود من (بوحة النية) يتجاوب في أنحاء المعتقل كله، وكل واحد منهم راح يفسر ويفك لغز ما وقع لـ(بوحة النية) المسكين» (المصدر نفسه: ١١٨). وكل هذه السادية انفجرت من كلا (بوحة النية) عن الجزائر وعن الإسلام، فالآخر الفرنسي ليس مستعدا لأي كلام يمجد الإسلام، فهم أصحاب الحضارة وغيرهم لا يمكن أن يرقى ليكون إنسانا فما بالك بإبداء رأيه، «ألا سيكون الكلام لي وحدي لأفرغ غضبي من كلام هذا الحقير، ها هو قد فقد وعيه. إن استطعت الآن رُدَّ عليّ بكلامك السخيف. إذا كان قرآنكم يقول لكم: كنتم خير أمة أخرجتم للناس، فأنا لا أؤمن به، وهيهات أن تكونوا كذلك، يا أيها الكائن من المخلوقات الهابطة، فمن أراد أن يعرف صحة نظرية (داروين)، فليأت هنا، وليعش مع هذه الكائنات غير المكتملة، فسيتأكد بأنهم يمثلون الحلقة المفقودة ما قبل القرود، وليس ما بعدها كما يتحذلق (داروين)، وله العذر، فهو لم يشاهد بأم عينه هذه المخلوقات الهابطة، وإلا سيكون له رأي آخر، فهؤلاء لم تسمح لهم الطبيعة بأن يصبحوا أنصاف بشر أو قرودا كاملة. قرآنكم يقول لكم: نحن مسخنا خنازير أو قرودا، ولكن أنتم لم تكونوا بشرا حتى تمسخون والأجدر بكم أن تنقرضوا» (المصدر نفسه: ١١٨). فالضابط الحاقد على كل الجزائريين، صبّ كل الغضب الذي يكنّه لهم في شكل تعذيب لـ(بوحة النيه) وهذا الضابط المؤمن بنظرية داروين التطورية لا يسمح بأن يتساوى الفرنسي مع الجزائري في الأصل، ففي نظره هم مخلوقات لم ولن تتطور ومآلها الانقراض، فهم مخلوقات غير مكتملة وبالتالي لن تقدر على بناء حضارة.

وهذه النظرية العنصرية امتدت إلى كل شيء متعلق بالدين، فهم يتربصون بيوم الجمعة الذي يمثل عيدا للمسلمين ويفضلونه لتنفيذ أحكام الإعدام: «عشتم في إحدى الجمعات يوما من أكثر أيامكم مأساوية واختار السفاحون هذا اليوم المبارك المقدس عندكم نكاية بكم، واستخفافا بدينكم الحنيف، فقاموا بإعدام أكثر من عشرة أبطال أمام أعينكم، وعذب أكثر من عشرين، فكان يوما مفجعا حزينا، كانت مناظره الدموية المرعبة لا تكاد تفارق أرواحكم، وتحفر ألمًا لا يمحي من ذاكرتكم بشظايا من الزجاج» (المصدر نفسه: ٩٥). فكل ما يمثل رمزا للإسلام يحاول هؤلاء الفرنسيون تدميره، فلم يكتفوا بإيذائهم في أجسادهم، وراحوا يسلّطون عليهم عذابا آخر، آلامه لا تُنسى وآثاره لا تُشفى ويبقى أثره في نفسيتهم إلى الأبد.

وبالرغم من كل هذه الوحشية، إلا أن هنالك ضباطا ليسوا بنفس همجية سابقيهم: «انهزم الكولونيل حين تعرضت قافلته العسكرية لكمين، فقتل من قتل، ومن بينهم الكولونيل ونجا نائبه، فتولى مهمة المعتقل وكان يعارض أسلوب سلفه في معاملتكم وكان جامعيا متخصصا في الفلسفة الماركسية، ومن الذين يؤيدون الخدمة العسكرية، فأمر بإخراجكم من (المطامير)، فاستقبلكم زملاؤكم بالتهليل والتكبير، وكان (الحركي) والمجندون من أبناء (الكولون) ينتظرون انتقاما شرسا وشنيعا من العملية التي اندحروا فيها، لا يقل عن الإعدام الجماعي لكم حرقا بالنيران وللشعب كله في تلك الناحية» (المصدر نفسه: ١٦٧-١٦٨). فهذا الضابط الجديد المتسربل برداء الماركسية لم يكن كسابقه في التعذيب ورحم السجناء من البقاء في المطامير.

وكذلك وجود ضابط آخر ساعد السجناء لكتابة مسرحياتهم التي تساعد على رفع الهمم من جهة والمقاومة على الاستعمار، ولكن هذا لم يكن محبة منه، ولكن كون هو وجماعته يحارب ضد فرنسا، فالهدف المشترك هو ما جعله يساعد

السجناء، فإذا اندلعت الفوضى في الجزائر يساعد ذلك على تحرير كورسيكا: «فقد اكتشف ضابط برتبة ملازم نشاطك، فكنت تنتظر عقابا يصل إلى حد الإعدام أو التعذيب إلى درجة فقدان الإحساس بخروج الروح من جسدها، ولكن ما وقع لم يكن في الحسبان، فقد أحضر لك كل مستلزمات الكتابة خفية عن زملائه، فظننت أنه يلعب بعقلك ويتسلى بك، كما تلعب وتتسلى القطط بالفئران قبل أن تفتك بها، ولكنه انفرد بك وسلمك الأمانة وأرشدك إلى طريقة إخفائها وأسر في أذنك بأنه ينتمي لحركة من كورسيكا تسعى للاستقلال عن فرنسا وقال لك بكل ثقة واطمئنان: لا تخافوا مني! منذ اليوم، فإننا مشتركون في الهدف» (المصدر نفسه: ١١٠-١١١).

٣-٢. صورة الأستاذ

«يحدد علم الصورة السمة الأساسية للصورة بأنها ناشئة عن الاختلاف بين ذات وأخرى، وبين هنا وهناك. ولذلك فإن الصور هي تعبير عن الاختلاف بين نظامي الواقع والمكان» (قبول وآخرون، ١٤٠٠: ٢٤).

سعى الروائي معمر حجيج إلى إبراز النظرة المتطرفة والعدائية لكل ما هو جزائري وكل ما يميز هذا المجتمع من ثقافة وعادات وتقاليد، والتي تعود غالبا إلى الدين الإسلامي، فالآخر يسعى دائما لخلخلة كل ما يمثل الهوية الجزائرية العربية الإسلامية. وهذه النظرة المتعالية تجسدت في رواية (ذاكرة منفى الجنون) على لسان الشخصيات الفرنسية وأولها أستاذة معيوفة في مادة التاريخ التي غيرت اسم معيوفة ليتماشى وحضارة الأنوار: «رأتني أستاذة التاريخ العنصرية مهمومة، فسألتني، فشرحت لها السبب، فقالت لي: سأخلصك من اليوم من حرف العين الحلقي العربي المنجس لاسمك واسميك على بركت الرب والابن وروح القدس مادموازول جولييت مأيوفة (Madenoiselle Juliette Maioffa)، أهذا يرضيك ويبعد عنك نحس حروف من سلالة الحفاة العراة رعاة الإبل والشاة؟!» (حجيج، ٢٠١٩: ٧٣). إن اللغة ترتبط بالهوية ارتباطا وثيقا، فهي رمز للمجتمع الذي تعبّر عنه وتبرز طريقة أهله في التفكير والتعبير والاستعمار، حاول بكل الطرق مسح الهوية الجزائرية بالقضاء على اللغة العربية والاستعمار اللغوي والثقافي يسعى لتشويه اللغة العربية وهو ما تبنته مدرسة التاريخ في تغييرها لاسم معيوفة بمحو حرف العين الذي يرمز للغة العربية وكذلك التحقير من كل ما ينتمي إلى هذه الثقافة المتدنية، ثقافة الحفاة العراة حسب النظرة العنصرية الفرنسية، فأستاذة التاريخ تحاول تدمير كل ما يربط معيوفة بثقافتها العربية الإسلامية.

وبالرغم من كل هذا الرفض الذي يلقاه كل ما يمثل صورة الجزائر، إلا أن الهوية الجزائرية والاعتزاز بهذه الحضارة الإسلامية بقي راسخا في قلب بطلة الرواية معيوفة، فتحول الاسم من اليسار إلى اليمين يعني أنه سيكتب باللغة الفرنسية وينطق بها، وسيمتلئ شيطان العنصرية ويتخلى عن الروح الإنسانية.

ومن بين الفرنسيين الذين كانت صورتهم عن الجزائر سليمة وغير مشوهة هي أستاذة الأدب لبطلة الرواية معيوفة، فقد شجعتها على حفظ الأشعار المنادية بالحرية: «حفظت أشعار أبي مدين الغوث وحفظت أشعار آنا غريكي وقدمت بحثا عن قصيدتها عن حبها للأطفال في قرية منعة الجوهرة في حضن جبال الأوراس الشماء مهد الثوار وعن بول إلوار في قصيدته عن الحرية، وقصائد لشعراء آخرين متعاطفين من روحهم الإنسانية الحرة مع الثورة التحريرية في الجزائر، وقد شجعتني أستاذة الأدب، ويبدو أنها أيضا متعاطفة مع كل الحركات التحررية في العالم وأخفيت ذلك عن أمي وأبي وأخشى من أحد طلبة محتشد ريفزالت أن يفشي ذلك ويكون على كارثة عليّ» (المصدر نفسه: ٩١)، فأستاذة الأدب التي تنبت الفكر التحرري، لم تكن تمانع من أن طلبتها يحفظون أشعارا لمن تعتبرهم حضارة الأنوار خونة.

وإن كانت رواية (ذاكرة منفى الجنون) التي تجري أحداثها في فرنسا، كانت حرية الأساتذة واضحة في التعبير عن كرههم لكل جزائري، أما في رواية (مهاجر ينتظر الأنصار) يظهر الكره للجزائر مختفيا تحت رداء الثقافة، حين استعمل الأستاذ السربوني شخص كولومبوس (Columbus) لوصف بطل الرواية مراد: «كنت متفوقا على كل الفرنسيين وعلى رأس دفعتي في الدراسات المعمقة. كنت أتخيل نفسي كأنني إمبراطور العلوم في جامعات بقاع الدنيا كلها.. اختارني أستاذي السوربوني المرموق لإنجاز بحث أكاديمي لتحضير أطروحة الدكتوراه الدولة وأكون له كولومبس جزائري واكتشف له قارة غرداية» (المصدر نفسه: ٨٥).

وكريستوفو كولومبس هو أشهر رحالة ينسب إليه اكتشاف القارة الأمريكية، فيفسر المتلقي هذا التشبيه بأن الأستاذ السوربوني يريد أن يحفز مراد ويحثه ليصبح مكتشفا يكتشف قارة سادسة متمثلة في لغز المرأة الميزابية، إلا أن كولومبس يضمر دلالات في شخصه، فهو يعد أكبر مجرم في تاريخ البشرية، فاكتشافه هذا أدى إلى إبادة عراقة حضارية وإنسانية ومجتمعات بأكملها حضارة الهنود الحمر التي تعرضت لحرب تصفية وتنقية عرقية عنصرية، قادتها الجيوش الأوروبية المعتزة بمركزيتها، كما أسس لخطاب يبرر الاستعمار – فحسب رأيه- الأراضي المكتشفة قابلة للاستيطان، لأن سكانها أقل تحضرا مقارنة بالأوروبيين، وهذه التورية الثقافية تبرز لنا هذه العداوة المتجذرة بين الأنا (الجزائري) والآخر (الفرنسي)، فهذا الأوروبي بحثّه لمراد على اكتشاف لغز المرأة الميزابية إنما هو بحث عن خلخلة هذا المجتمع الميزابي المحافظ ومحاولة لإعدام الثقافة الجزائرية وما يتصل بها من فكر عربي إسلامي.

ويطمح هذا الأستاذ السوربوني أن يتشيع مراد بحضارة الأنوار الممجدة للعقل والمناهضة لكل أشكال التدين ويأمل أن يرقص على أنغام بحث مراد، هذا البحث الذي سيخلد في الأذهان كلحن أورفيوس الأسطوري، يقول: «يا مسيو مراد كن ك(أورفيوس) تسحر أسماعنا بصوت بحثك الريان وموسيقاه حق يرقص لك الشجر والحجر، وتتغير مجاري أنهار المعرفة في كل بقاع الدنيا، ولا تتركه للدغات أفاعي الصحراء، فيموت كما ماتت حبيبة أورفيوس بلدغة ثعبان وكن كفلاسفة الأنوار حين رفعوا شعارا خلال الثورة الفرنسية: لتكن لديك الشجاعة على استخدام عقلك وأن ذاك يمكن افتكاك حريتك من وصاية أي كائن من كان..» (المصدر نفسه: ١٥٣).

ويصرح مراد عن حقيقة هذا البحث بقوله: «فرض عليّ أستاذي بعد أخذ وردّ أن أحضر أطروحتي عن المرأة اللغز في المجتمع الميزابي.. هي كلؤلؤة مسجونة في صدفتها. ويجهلها المستشرقون الفرنسيون، فأراد أن يفتح هذا القمم ببحثي» (المصدر نفسه: ١٧)، بحث اقترحه الأستاذ السوربوني ليفتح المجال أمام المستشرقين لبث سمومهم في المجتمع الميزابي الذي وقف صامدا أمام كل محاولات اختراقه. هذا ما يوضح أن الآخر يمتاز بذكاء وخبث في الوقت نفسه، فهو لا يكشف ما يكنّه من مشاعر حقيقية داخله اتجاه الأنا وإنما يتوارى خلف عباءة العلم وحضارة الأنوار.

٣-٣. صورة الأديب

كانت آراء الأدباء مختلفة بين دعم الجزائريين والثورة والحرية وبين من فضلوا أن يختاروا أوطانهم رغم كل شيء، ومن بينهم «ألبير كامو، فهو جوهر الأدب الفرنسي ومفخرته.. أليس هو الذي لا يرى الجزائر إلا من غواني فرنسا التي ورثت نقاء دمائها من جدودنا الرومان؟ لا وجود لحضارة عتيقة قائمة في الجزائر غير حضارة أجدادنا الرومان والبيزينطيين، ولا وجود للتخلف فيها غير تخلف العرب الحفاة العراة. لا يمكن التفريط في الجزائر فزواجها الفرنسي كاثوليكي، ولا يمكن لها الطلاق للتزوج على الرغم من أنفها بالإرهاب الأعمى الذي تمارسه جبهة التحرير المصنوعة من مخابرات الأمبريالية العربية الغارقة

في التخلف والوحشية، وهم من سلالة إرهاب السيوف وقطع الرؤوس الذي يخفونه بمهارة السحرة ويسمونه فتوحات إسلامية» (حجيج، ٢٠١٩: ١٢٦). فحضارة الجزائر حسب كامو هي ما تركه الرومان، والتخلف كل ما تعلق بالعرب ووجوههم، فالفرنسيون نظرتهم للجزائر دونية، ولكنهم يرفضون أن تعيش الجزائر حرة، ويدعون أن الحضارة لكل ما هو فرنسي، أما التخلف والفساد متجذر في كل ما هو جزائري وبالرغم من عيشه بالجزائر إلا أنه اختار فرنسا.

فكامو قد تخلى عن كل قيم الحرية والعدالة وقال مقولته الشهيرة: «سأدافع عن أمي قبل أن أدافع عن العدالة» (بودربالة، د.ت: ١٧) في حفل استلام جائزة نوبل للأدب عام ١٩٥٨، وهذا يعني أنه يضع فرنسا فوق كل اعتبار ويدافع عن مصالحها وحضارتها بما يكتبه ويبدعه.

والصورة المتعالية للفرنسيين والكره المتجذر للجزائر حطمه الأديب والفيلسوف جون بول سارتر بكتابه (عارنا في الجزائر)، فقد فضح من خلاله جرائم الاستعمار الفرنسي في الجزائر، أمضى بيان ١٢١ المؤيد للثورة الجزائرية واستقلال الجزائر وكانت مواقفه صريحة وواضحة على مستوى النصوص والكتابات وكذلك بالمواقف والمظاهرات التي قادها في باريس.

وسارتر بمواقفه الصامدة أثر في غيره من الأوروبيين وأسهم في نشر الوعي وتدويل القضية الجزائرية: «أليس سارتر هو من وراء تحريك عبقرية بيكاسو في الفن باسم الإنسانية والذي فضحنا في العالم بلوحته التي جابت معارض العالم دفاعا عن جميلة بوباشة التي حكم عليها بالإعدام بالمقصلة، لفصل رأسها عن جسدها المحشو بالحقد على فرنسا؟ أليست تلك التافهة القندس سيمون دي بوفوار وجيزيل حليمي تستحقان الحرق على نار، تلتهم جسميهما عضوا عضوا جزاء خيانتهما؟» (حجيج، ٢٠١٩: ١٢٥)، ففرنسا كانت تمارس التعتيم الإعلامي حول القضية الجزائرية وتخشى من التعاطف الدولي مع الجزائر التي وصفت شعبها بالهمجية وحين أصدرت المحامية جيزيل حليمي كتابا بالاشتراك مع الفيلسوفة الفرنسية سيمون دي بوفوار تشيد فيه بكفاح ومقاومة وشجاعة جميلة بوباشا، وتعرضها لكل ألوان البطش والتعذيب من طرف الاستعمار الفرنسي، يتضمن غلاف الكتاب لوحة شهيرة للمناضلة الجزائرية الكبيرة رسمها الفنان العالمي بيكاسو، جعلت كل العالم يرى همجية ووحشية الاستعمار الفرنسي وتدليسه للحقائق لربط الهمجية بالثوار المدافعين عن حقهم في الاستقلال والحرية.

وسارتر المتشبع بالفلسفة الماركسية وحق الشعوب في التحرر كان يرى أن الصمت على جرائم الاستعمار هو جريمة أخرى، ولكن أصحاب النظرة المشبعة بالإرث اليوناني ترى أنه «لا عدو للحضارات الإنسانية العظيمة إلا الفلسفة الماركسية والوجودية وهما وجهان للفوضى. هذه تبشر بتقسيم الثروة على الفئران والجرذان وتلك تبشر بتقسيم الحرية على الأفاعي والذئاب.كان سارتر يفتخر بلباس جلباب راهب الإلحاد التائه في متاهات كهوف الوجود الأسطوري المزعوم المزخرف بألوان لا حدود فيه للحريات الحيوانية المتمردة لتحطيم آلهة أصنام الماهية الصماء بحسب زعم صاحبها الأعمى، ويدعي بأنه فيلسوف الإنسانية المبشر بعالم أبهى وأحلى. وما يحزّ في قلبي أكثر خيانة: فرانز فانون ومحامي الثعابين جاك فيرجاس اللذين لم يجدا احتضانا إلا في دولتنا، فكانا يأكلان بيدٍ من خيراتنا وينعمان بحريات دولتنا ويخونان باليد الأخرى» (المصدر نفسه: ١٢٥).

فسارتر دافع بكل ما يملك من قوة عن القضية الجزائرية، وقد تجلت مواقفه الواضحة أيضا، عندما وقَّع مقدمة الكتاب الشهير (معذبو الأرض) لفرانز فانون، مثمنا ما جاء في الكتاب ومشجعا لنصوص تفضح سياسات الاستعمار وفانون الطبيب والفيلسوف الاجتماعي، صاحب فكر التحرر ضد العنصرية الاستعمارية، وهو فرنسي ولكنه استطاع أن يكون مع الثورة

الجزائرية ومع الكفاح الجزائري ضد المستعمر، وقد اختار أن يكون جزائريا، ودفن مع أحرار الجزائر والمحامي جاك فيرجاس الذي رأى في الجزائريين أصحاب حق، ودافع عن مسلحي جبهة التحرير الوطني.

أما رونية قوته فلقب بصديق الثورة الجزائرية، وذلك لأنه قام بتصوير معاناة الجزائريين إبان الاستعمار، لكن فيلم (ساقية سيدي يوسف) الذي تعاون على إنجازه مع ألبير أليموم بطلب من فرانس فانون، وهو الفيلم الذي يستعرض الجريمة التي اقترفها الاستعمار في حق سكان قرية ساقية سيدي يوسف، الواقعة على الحدود الجزائرية التونسية كشهادة حية على وحشية الاستعمار متسببا في إثارة الرأي العام العالمي ضد فرنسا، ما جعل كل المؤيدين للاحتلال الفرنسي يرونها من الخونة: «وأما رونية قوته وألبير أليمون فهما جروان من كلاب سوء، مسخا الفن السابع ليجعلا منه كلبا متشردا جائعا، يدور في مزابل التخلف، ويحاول إقناع أصحاب الفكر المتنور في فيلمه السخيف (الجزائر أمة)، ولم يندم بأنه ارتكب فاحشة سينمائية وفيلمهما ساقية سيدي يوسف، وهما يتعاطفان فيه مع الذئاب التي لا دواء لشرها غير الإبادة وفيلمه الجنوني جيش التحرير وهل من عاقل يصدق بتغليف الإجرام بالحرية؟ وفيلمه العبثي (الجزائر تلتهب) ومن يتجرأ على إشعال النار في كل شيء إلا المجانين أو المجرمون» (المصدر نفسه: ١٢٦). فهذه الصورة التي قمتها السينما الفرنسية عن القضية الجزائرية ووحشية الاستعمار، حركت الرأي العام في مختلف أرجاء العالم وحصدت فرنسا من هذه الحركة السينمائية إدانة المجتمع الدولي.

وأسهم العديد من الشعراء والأدباء الفرنسيين في كتاباتهم وتبنوا القضية الجزائرية، «هؤلاء الشعراء والمفكرون والأدباء هم جان بول سارتر وما كتبه في الأزمنة الحديثة عن (حاملي الحقائب) وهم شبكة الدعم المباشر للثورة التحريرية الجزائرية، وكتاب جان جينيه (الحجب)، وكتاب بيار غيوتا (قبر لخمسمائة ألف جندي) ومادلين ريفو التي عانت من العذاب النازيين واغتالها منظمة الجيش السري لمواقفها من الثورة الجزائرية ومساندتها لاستقلال الجزائر، ومن الشعراء الذين كانوا ضد الحرب في الجزائر وقصائدهم منشورة في مجلة عمل الشعرية» (المصدر نفسه: ٩١-٩٢).

كل هؤلاء الأدباء دافعوا عن حق الجزائر في الاستقلال، ولكن رواية (ذاكرة منفى الجنون) ركزت على الشاعرة العظيمة آنا غريكي التي سكنت الجزائر وتغنت بأشعارها بالثورة الجزائرية: «نامت آنا غريكي قريرة العين بهدهدة الأشعار لثورة الأطفال وتسللت أنوار الأقمار خجولة هادئة لتبوح لها بفاجعة ترشح كل الثوار لمن يلفظهم التاريخ كالبحر، حين يرمي خارجه كل من يعكره بتبقى مياهه صافية نقية إلى الأبد.. كانت آنا غريكي تردد: أخشى أن ينخدع أحبابي الثائرون في آخر نفس الثورة ولكن حلم الثورة لن يبرح أي ذاكرة ذاقت من فاكهتها اللذيذة التي لا مثيل لها، حتى ولو أثخنت بالجراح، بل ستبقى شجرتها تزهر وتفوح بروائحها الطيبة في الروح ليشقى الجسد ويتمنى أن تنفصل روحه عنه» (المصدر نفسه: ١٤٣)، فآنا غريكي عاشت بالجزائر، وأصبحت جزائرية العشق والهوى، وأسهمت بأشعارها في بث العزيمة والأمل في النفوس الحرة، لكن خوفها كان من الغدر الذي قد يفتك بالثورة ويحلم الاستقلال أواخر الثورة، ولكن ذلك تحول واقعا بعد خيانة حبيبها الشيخ علاوة الذي في آخر نفس للثورة خانها، وغدر بالثوار أولا، وأنهى قصة حبه لآنا بقصة خيانة، وظلت تلك الخيانة غصة تنخص عليه حياته البائسة في محتشد العذاب محتشد ريفزالت، «كان شيخي علاوة سيد المنبوذين وإمامهم والمزع للبركات على أولادهم والكرامات على نسائهم وحفار قبورهم وقراءة سورة (يس) لتحرير أرواحهم من أجسادهم.. كان لا شوق له إلا بسماع صوت الشيخ حمدان من رسائله تذكره بروحانياته الثورية المغتالة بخيانته في آخر لحظة من عمر الثورة والتي مازالت غصة في حلقه وخيانة العهد بينه وبين حبيبته آنا نور التي مازالت تزف له تحايا الثوار معطرة من نسمات جبال منعته المعطرة مع كل شروق شمس وغروبها إلى آخر رمق لها في ٦ يناير ١٩٦٦ في الجزائر البيضاء» (المصدر نفسه: ١٠٠).

النتيجة

ومن خلال ما مرّ، توصلت الدراسة إلى ما يلي:

١. فاعتمد حجيج في تصويره للآخر الفرنسي على عدة صراعات: منها الصراع الحضاري القائم بين الغرب والشرق والنظرة الاستعلائية التي يتميز بها الغرب، حيث يعد نفسها صاحب حضارة عريقة كبرى، وسعى إلى تدمير الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر وهدم الإنسان الجزائري نفسيا، حتى لا يتمكن من المقاومة والاستسلام لحضارة الأنوار. والصراع القائم بين الهوية الجزائرية والفرنسية التي يحاول الاستعمار بمسحها، وذلك بالاعتماد على القضاء على اللغة العربية والاستعمار اللغوي، والصراع القائم بين الأدباء الفرنسيين المتحمسين لمصالح فرنسا وحقوق شعبهم والمتحمسين لتحرر الجزائر والمناهضة لجرائم الاستعمار الفرنسي.

٢. صورة الضابط الفرنسي في رواية (الليالي حبلى بالأقمار) ذات نظرة استعلائية، تحس بالتفوق على الجزائريين، وأما في رواية (معزوفات العبور) فتوجد صورتان: صورة تتميز بالعنف والقسوة، تتلذذ بممارسة فعل التعذيب على المساجين، وصورة تتميز بالشفقة على المساجين وليست على مستوى شخصية ضباط آخرين قساوة، حيث يعطونهم بعضا من الحرية فيما يتعلق بشؤونهم.

٣. صورة الأستاذ في رواية (ذاكرة منفى الجنون) ذات نمطين: سلبية، حيث تحاول تدمير كل ما يتعلق بالهوية الجزائرية الإسلامية، وكذلك في رواية (مهاجر ينتظر الأنصار)، حيث يحاول لتحطيم كل ما يتعلق بالثقافة الجزائرية وإيجابية، حيث تدعم كل الحركات على مستوى الدفاع عن الحرية والاستقلال الجزائري.

٤. صورة الأديب في رواية (ذاكرة منفى الجنون) ذات نمطين: ينظر كامو نظرة دونية إلى الجزائر، فحضارة الجزائر حسب كامو هي ما تركه الرومان، والتخلف كل ما تعلق بالعرب ووجوههم، بينما سارتر في نفس الرواية، يدافع بكل ما يملك من قوة عن القضية الجزائرية، ويفضح جرائم الاستعمار الفرنسي، ويندد الصمت عليها.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. البرزي، دلال (٢٠٠٠). **الآخر: المفارقة الضرورية**، ط١، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

٢. الجابري، محمد العابد (٢٠٠٩). **الإسلام والغرب: الأنا والآخر**، القاهرة: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.

٣. حمود، ماجدة (٢٠٠٠). **مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن**، بيروت: منشورات اتحاد الكتاب العرب.

٤. ذونيخ، سعد فهم (٢٠٠٩). **صورة الآخر في الشعر العربي من العصر الأموي حتى العصر العباسي**، إربد: عالم الكتب الحديث.

٥. الرويلي، ميجان والبازغي، سعد (٢٠٠٢). **دليل الناقد الأدبي**، ط٣، بيروت: المركز الثقافي العربي.

٦. عبيد، محمد صابر (٢٠١٢). **جماليات التشكيل الروائي**، الأردن: عالم الكتب الحديث.

٧. كاظم، نادر (٢٠٠٤). **تمثيلات الآخر (صورة السود في المتخيل العربي في العصر الوسيط)**، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

٨. الكنز، علي (١٩٩٣). **الآخرية والتراث**، تونس: منشورات الجمعية.

٩. معمر، حجيج (٢٠١٦). **معزوفات العبور**، باتنة، الجزائر: دار قانة للنشر والتوزيع.
١٠. _____ (٢٠١٦). **مهاجر ينتظر الأنصار**، باتنة، الجزائر: دار قانة للنشر والتوزيع.
١١. _____ (٢٠١٨). **الليالي حبلى بالأقمار**، الجزائر: دار المثقف للنشر والتوزيع.
١٢. _____ (٢٠١٩). **ذاكرة منفى الجنون**، باتنة، الجزائر: دار قانة للنشر والتوزيع.
١٣. أميرة، كتال ومحمد، زرمان (٢٠٢١). «شعرية السرد في رواية ذاكرة منفى الجنون لمعمر حجيج»، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، المجلد ١٣، العدد ١، صص ٢٣٣٩- ٢٣٥٨.
١٤. بودر بالة، الطيب (د.ت). «صورة الجزائر في الرواية الفرنسية»، مجلة اللغة العربية وآدابها، جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي، المجلد٢، العدد٢، صص ٦-١٩.
١٥. شريف، موسى عبد القادر. (٢٠١٠). «صورة الآخر الفرنسي في الرواية الجزائرية: ما لا تذروه الرياح أنموذجا»، حوليات جامعة قالمة للعلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد٤، المجلد١، صص ١-٢٦.
١٦. شفيري، فتيحة (٢٠١٣). «الأنا والآخر في الرواية الجزائرية»، مجلة الآداب واللغات، العدد١، المجلد ٤، صص ١٤١- ١٦٢.
١٧. شهيناز، بوصبع، ومنصوري، نجوى (٢٠٢٢). «المضمر الثقافي في رواية مهاجر ينتظر الأنصار لمعمر حجيج (الحدود و التمثلات)» مجلة آفاق علمية، المجلد ١٤، العدد ١، صص ٣٨٢- ٣٩٧.
١٨. عيسى، قدور والسعدي، إسماعيل (٢٠٢١). «تمثلات الأنساق الثقافية في الرواية الجزائرية: مهاجر ينتظر الأنصار لمعمر حجيج أنموذجا»، حوليات الآداب واللغات، المجلد ٩، العدد ١، صص ١٥٦- ١٧٢.
١٩. فتحي دهكردي، صادق وحسيني، سكينة (١٤٤٣). «التحليل السيميائي للشخصيات في شعر محمد الفيتوري المقاوم»، مجلة اللغة العربية وآدابها، العدد١٣، صص ٥١-٧٢. doi:10.22067/jallv13.i1.65995
٢٠. قبول، إحسان وعبدالله راد مرد وزهرا شريعت پناه (١٤٠٠). «تصويرشناسی ايرانيان در شهرهای شرقی و غربی ايران در سفرنامه ابن بطوطه»، مجلة اللغة العربية وآدابها ، العدد ٢، المجلد ١٣، صص ٢٢-٤٤.
Doi:10.22067/jall.v13.i2.84508
٢١. مرج، نادية (٢٠٢١) الأنثروبولوجيا الثقافية في الرواية الجزائرية، (الليالي حبلى بالأقمار ومعزوفات العبور) لمعمر حجيج أنموذجا. المجلة الأردنية الدولية أريام للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد ٣، عدد خاص من الدورية الدولية الثانية، صص ٧٢٤-٧٣٥.
٢٢. ملاوي، محفوظ وعلي، كرباع (٢٠٢٢). «جينيالوجيا الأنساق الثقافية في الرواية الجزائرية المعاصرة وتمثلاتها على مستوى المضامين: رواية الليالي حبلى بالأقمار أنموذجا»، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، المجلد٥، العدد ٥، صص ٢٤٠-٢٥٠.
٢٣. بوحلايس، سلاف (٢٠٠٨). صورة الأنا والآخر في شعر مصطفى محمد العماري، شهادة الماجستير، باتنة: جامعة الحاج لخضر.
٢٤. مير قادري، أعظم السادات (٢٠١٢). الأنا و الآخر في رواية سهرة تنكرية للموتى لغادة السمان، رسالة الماجستير، جامعة الزهراء.

Refrences

The Holy Quran

Al-Barzi, D (2000). *The Other: The Necessary Paradox*, 1st edition, Beirut: Center for Arab Unity Studies.[In Arabic].

Al-Jaberi, M. A (2009). *Islam and the West, I and the Other*, Cairo: Arab Network for Research and Publishing. [In Arabic].

Dhunikh, S. F (2009). *The image of the other in Arabic poetry from the Umayyad era until the Abbasid era*, Irbid: Modern World of Books. [In Arabic].

Al-Ruwaili, M & Al-Bazghi, S (2002). *The Literary Critic's Guide*, 3rd edition, Beirut - Lebanon: Arab Cultural Center. [In Arabic].

Obaid, M. S (2012). *Aesthetics of narrative composition*, Jordan: The Modern World of Books. [In Arabic].

Kazem, N (2004**).** *Representations of the Other (The Image of Blacks in the Arab Imaginary in the Middle Ages***)**, Beirut: Arab Foundation for Studies and Publishing. [In Arabic].

Al-Kanz, A (1993). *Otherness and Heritage*, Tunisia: Society Publications. [In Arabic].

Muammar. H (2016). *Transit songs*, Batena, Algeria: Dar Qana for Publishing and Distribution. [In Arabic].

_____(2016). *An immigrant waits for the helpers*, Batena, Algeria: Dar Qana for Publishing and Distribution. [In Arabic].

_____(2018). *The nights are pregnant with moons*, Algeria: Dar Al-Muthaqaf for Publishing and Distribution. [In Arabic].

_____(2019). *Memory of the exile of madness*, Baetna, Algeria: Dar Qana for Publishing and Distribution. [In Arabic].

Hammoud, M (2000). *Applied Approaches in Comparative Literature*, Beirut: Arab Writers Union Publications. [In Arabic].

Amira, K & Muhammad, Z (2021). "The Poetics of Narrative in the Novel Memory of the exile of madness by Muammar Hajij," *Journal of Arabic Language Sciences and Literature*, 13(1), 2339-2358.

Bohlais, S (2008). *The image of the ego and the end in the poetry of Mustafa Muhammad Al-Amari, Master's certificate*, Batna: Al-Hajj Lakhdar University. [In Arabic].

Mir Qaderi, A (2012). *Al-Ana and Al-Alkher" in the novel "Sahrah Tankariyah for Death" by Laghada Al-Saman, Risalat* Al-Majasrat, Al-Zahra University. [In Arabic].

Bouder .B (n.d). "The Image of Algeria in the French Novel," *Journal of Arabic Language and Literature*, University of Shahid Hamma Lakhdar Alwadi, vol. 2, no. 2. [In Arabic].

Sharif, M.A (2010). "The image of the French other in the Algerian novel "What the wind does not blow away" as a model," *Annals of the Guelma University of Social and Human Sciences*, 1(4), 1-26.[In Arabic].

Shafiri, F (2013). "The Ego and the Other in the Algerian Novel*," Journal of Arts and Languages*, 4(1), 141-162.[In Arabic].

Shahinaz, Bou Saba and Najwa, Mansouri (2022). "The Cultural Content in the Novel "An immigrant waits for the helpers" by Muammar Hajij (Borders and Representations)" *Afaq Scientific Magazine*, 1(14), 382-397.[In Arabic].

Jesus, Q & Al-Saadi, E (2021). "Representations of Cultural Patterns in the Algerian Novel: An immigrant waits for the helpers by Muammar Hajej as a Model," *Annals of Literature and Languages*, 9(1), 156-172.[In Arabic].

Fathi Dehkordi, S & Hosseini, S (2022). "Semiotic Analysis of Characters in the Resistant Poetry of Muhammad al-Fitouri," *Journal of Arabic Language and Literature*, 13(1), 51-72.[In Arabic]. doi:10.22067/jallv13.i1.65995

Ghabool, E & Abdullah Rad Mard & Zahra Shariat panah (2021). "Imagination of Iranians in the eastern and western cities of Iran in Ibn Battuta's travel book", *Arabic language and literature magazine*,13(2).22-44. [In Persian].
Doi:10.22067/jall.v13.i2.84508

Marj, N (2021). Cultural Anthropology in the Algerian Novel, (The nights are pregnant with moons & Transit songs) by Muammar Hajeij is a model. *Jordanian International Journal of Humanities and Social Sciences*, Volume 3, Special Issue of the Second International Journal, pp. 724-735. [In Arabic].

Malawi, M & Ali, K (2022). "The genealogy of cultural patterns in the contemporary Algerian novel and its representations at the level of content: the novel The nights are pregnant with moons as an example," *Al-Qare Journal for Literary, Critical, and Linguistic Studies*, 5(5). 240-250. [In Arabic].

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی